أنواع «اليهودي الجديد»

«اليهودي الجديد» هو النموذج المقابل الذي طرحته الحركة الصهيونية مقابل «يهودي الشتات». من هو هذا اليهودي؟ وكيف تصوّره المثقفون اليهود والصهاينة في أوروبا؟ يقترح باحثون في تاريخ الحركة الصهيونية أن لا نرى شكلاً واحداً لليهودي الجديد،[1] فقد نظرت إليه التيارات الصهيونية بطرق مختلفة حسباً لأيديولوجيتها. نعرض في هذا العدد من الأرشيف مقاطع من أربعة نصوص لتصوّرات لمثقفين يهود حول «اليهودي الجديد»، تُعبّر عن الاختلافات الفكرية بين تلك التيارات:

النوع الأول هو اليهودي المُسيّس والحداثي الملتزم بقضايا شعبه. هو اليهودي الذي لا يلوم الأوروبيين على ظلمهم له بل يأخذ المبادرة لتحسين وضعه. ويتمثل هذا اليهودي في كتاب «التنويلاند» لبنيامين زئيف هرتسل بشخصية دافد ليطبك، الولد الذي ربي في المشروع الصهيوني ودمج في عالمه المصير اليهودي في «الشتات» ومن ثم «تحرره» في «الأرض الجديدة القديمة؛ أي فلسطين. كما نجد هذا اليهودي في خطاب ماكس نوردو، المقرب لهرتسل، حول «يهودية العضلات» الذي ألقاه عام ١٨٩٨ في الكونغرس الصهيوني الثاني:

«نعيد العلاقة مع تراثنا القديم: نكون مجدداً رجالاً واسعي الصدور، مشتدي الأعضاء، ثاقبي الرؤية. هذا الهدف؛ أي الرجوع نحو الماضي المجيد تجد له تعبيراً جاداً في الطريقة التي اتخذها لنفسه فريق الرياضة البدنية في برلين – بار كوخفا. بار كوخفا كان بطلاً، لم يعرف معنى الوقوع. عندما أغرب الانتصار عنه وجهه، اختار الموت. في بار كوخفا تجلّت للمرة الأخيرة في التاريخ العالمي، اليهودية العنيدة في الحرب، التي تتوق نحو السلاح. عندما تسمي مجموعة (رياضية) نفسها «بار كوخفا» فهذا معناه أن السعي نحو الاحترام كامن في قلبها. السعي نحو الاحترام

كامن في لاعبي الرياضة الذين يسعون نحو التطوّر الأسمى.

لا تُشكل الرياضة دوراً تربوياً مهماً لأي كان، كما يجب أن تشكّله في داخلنا نحن اليهود. يجب أن ترفع هامتنا من ناحية الجسد ومن ناحية الطبع كذلك. يجب أن تصحي عندنا الوعي بالذات. أعداؤنا يدعون أننا مغرورون بدون حاجة لذلك. لكننا نعلم كم من التضليل يوجد في هذا الادعاء. الإيمان الهادئ في قوتنا ينقصنا بشدة.»[٢]

أما النوع الثاني فهو الذي دعا له أتباع «الصهيونية الروحانية» وعلى رأسهم أحاد هعام ورأوا باليهودي الجديد أنه ذلك الذي يستطيع الجمع بين الدين اليهودي وبين الحداثة. ركّز أحاد هعام على الصهيونية كحركة تربوية روحانية وليس سياسية، وتعامل مع الصهيونية كحركة تثقيف سوف تظهر نتائجه بعد أجيال. ورأى أحاد هعام أن يهودي الشتات بحاجة لمشروع تثقيف طويل الأمد لكي ينفض عنه «آثار الشتات»، ولهذا دعا إلى إحياء الإنسان اليهودي وإلى تحسين قيمه التي لحق بها خلل نظرا لوجوده في الشتات. وبرأيه، لا يمكن تحقيق يقظة قومية إلا بوجود مركز روحي للشعب اليهودي على «أرضه التاريخية» المشتركة لكل اليهود، وبواسطة العمل المشترك لإقامة هذا المركز، بعد أن فشلت الديانة اليهودية من الناحية العملية في تحقيق إقامة مثل هذا المركز. فالمركز يُثير المشاعر القومية لدى أبناء الشعب اليهودي ويُقوي الوحدة بينه، ويُصبح المرجع الأول لمنع حصول الاختلاط الذي أصاب هذا الشعب بسبب تشتته عبر العصور وفي بلاد كثيرة جداً. وبدون وجود قاعدة قومية ثابتة للأمة وحياة حرة لن يكون هناك تطور لحياة الامة. و«أرض إسرائيل» تصبح مركزاً روحياً فقط عندما يُصبح الشعب اليهودي هو الأغلبية في هذه الأرض، ويمتلك معظم أراضيها. وبعد أن يُسيطر الشعب اليهودي على كل مصادر الرزق، عندها فقط يُخلق شيء جديد لهوية اليهود القومية».

وقد كتب ليف ليفنسكي، أحد المقربين من أحاد هعام، في كتابه «رحلة إلى أرض إسرائيل عام ٢٠٣٩» الذي صدر عام ١٨٩٢، شكل البلاد وشكل اليهودي الذي يتخيله بحلول العام ٢٠٣٩، ويظهر بقوّة فيه التركيز على العامل الروحاني والأخلاقي. ومما جاء في الكتاب:

«وكم من المرضى المساكين في أوروبا، يئسوا من حياتهم، لأن الأطباء الأفضل موجودون في أرض إسرائيل. وأمراض مصر وأوروبا السيئة – ليست موجودة عند اليهود. لأن حياة اليهود المبنية على تقدير العائلة والحشمة هي أحد أفضل الخصائص التي يتمتع بها شعب إسرائيل. وبشكل عام أصبح اليهود الآن الأمة الأكثر صحة وقوة، في الجسم وفي الروح.»[٣]

كما يصف ليفينسكي الفارق بين «صحف أوروبا الرديئة» وبين «صحف اليهود الأخلاقية» في «أرض إسرائيل» والتي لا تحتوي على :

«كل هذا التهريج والنميمة والتشهير والمسبات وقصص الفجر والمحادثات الخفيفة بين محب وحبيبته، واستعمال مصطلحات غير مفهومة.. كل هذا الفسوق، الذي يمتلئ به عالم الفرنسيين، لن تجده ولا بأي صحيفة أو مطبوعة عبرية. لأن الأدب هو نبع الحياة، وكما أن حياة الفرنسيين مختلفة عن حياة العبريين، كذلك تختلف كتاباتهم»[٤]

أما النوع الثالث فقد تأثر بوجهات نظر الفيلسوف الألماني فريدريخ نيتشة، ونقده على الحداثة والثقافة الغربية. أبرز مثقفو هذا التوجّه كان ميخا يوسف بريدتشفسكي، الذي دعا اليهودي الجديد أن ينفصل عن التراث اليهودي في الشتات وأن يعود من جديد إلى يهودية العهد القديم، متأثراً بمقول نيتشة «من أجل بناء معبد، لا بد من هدم معبد»، وذلك بخلاف أحاد هعام الذي لم يدع لنسف وعي يهود الشتات بالكامل. دعا بريدتشفسكي إلى تغيير فوري بحياة اليهود، وخصوصا تغيير «أخلاق اليهود» التي آمن بها أحاد هعام واعتبرها «أخلاق عبيد»، وتبديلها بـ«أخلاق القوة». ويناقش بريدتشفسكي أحاد هعام في مقالة مطوّلة بأن التراث اليهودي يشدد على أهمية استخدام القبضة الحديدية أمام أعداء اليهود. ومما جاء في المقالة:

«احتلال الأرض هو بالتأكيد شيء قومي ويعتمد أيضاً على أخلاق قومية (moral national)، ولكنه يناقض بشكل تام الأخلاق الإنسانية. نواة الأخلاق القومية بسيطة: حب الشعب لذاته، حب الخير لنفسه، حتى لو تحدّث باسم الرب الذي اختاره وأعطاه كل ما يحتاج. إمكانية وجود أخلاق قومية وتعليم ذاتي وثقافة ذاتية على أرض فيها هواء، لنسمها ملجأ روحيا–وطنيا، مؤسس بما يتعارض مع أخلاق عدم احتلال بلاد، توسيع حدودها، ضرب أهلها وأخذ مكانهم. [..]

«يقول أحاد هعام إنه من أيام الأنبياء تعلم آباؤنا أن يحتقروا قوة القبضة وأن يحترموا القوة الروحانية (وفي هذا تقليد وانخراط في المسيحية)؛ ويحتقر كذلك أخلاقنا القومية. [..] قلب أحاد هعام مليء بالانفعال من انتصارنا الأخلاقي في أيام خراب [الهيكل] وهو يصف «وهكذا تم كسر الحزمة: المتعصبون سياسياً بقوا ماسكين للسلاح على أسوار القدس، والفروشيم»

أخذوا التوراة وذهبوا ليافني»؛ وهو ينسى أن بعد حروب القدس كان لنا أيام ثورة بيتار، وأن الراف عكيفا مع ألف من تلاميذه من حملة التوراة، عندما بان لهم الأمل السياسي، حملوا السلاح» [التشديد من المصدر].[٥]

وأما النوع الرابع فهو الذي تحدث عنه الصهاينة الاشتراكيون، وقد اختلف هؤلاء في حدة عدائهم لـ«يهودية الشتات». نحمان سيركين الذي كان الأشد عدائية لها باعتبارها الفترة الأكثر حلكة في تاريخ اليهود. ومما جاء في مقالة له عن يهودية الشتات:

«بدأت تتطوّر عند اليهود الحركة التلمودية، اليهودية كايديولوجية الشتات [..] تقلّص الإنتاج الروحاني عند الشعب اليهودي في الفترة التلمودية، وتمركزت في الجانب العملي للدين والتوراة الشفهية [..] لليهودية في الشتات نقصت قوة إنتاج حقيقية، لم يكن لها أي قوة للتطور والتقدم. اليهودية كانت أيديولوجية الشتات، أيديولوجية الملاحقة والطرد والإهانة للشعب [..] فقط في العهد الحديث قامت اليهودية للحياة. لكن هذه اليهودية تقف بتناقض تام مع يهودية القرون الوسطى، مع اليهودية الدينية، يهودية الشتات. الصهيونية بالفعل تقتلع اليهودية الدينية من شروشها أكثر شدة من ما تقوم به اليهودية الإصلاحية أو الاختلاط مع المسيحية».[٦]

على الجانب الآخر، اتخذ مثقفون صهاينة اشتراكيون مواقف أكثر تسامحاً مع الشتات. فعلى سبيل المثال كتب اليعازر ريجز:

«لا تطمح الصهيونية إلى بناء أرض إسرائيل بسبب الشتات. بل إن أرض إسرائيل والشتات تحتاج الواحدة منهما إلى الأخرى. بدون الشتات تتحول أرض إسرائيل لمنطقة هامشية، وبدون المركز في أرض إسرائيل لا يمكن للشتات أن يتطور. [..] اليشوف في أرض إسرائيل سيبقى خط الهجوم الأول للأمة. إحياء الثقافة العبرية يمكن أن يكون كاملا فقط في أرض إسرائيل. في البلدان الأخرى اليهودي هو يهودي مع واصلة (أي «–»)، يهودي–بولندي، يهودي–ألماني، يهودي–أميركاني، يهودي–إيراني وإلخ. فقط في أرض إسرائيل سيكبر جيل من «اليهود بدون واصلة»؛ أي «يهود–يهود».[٧]

الهوامش

١ مثلا: إسحق كونفرونطي (٢٠٠٩). اليهودي الجديد في الفكرة الصهيونية: القومية، الأيديولوجية والتأريخ. (بالعبرية).

٢ المصدر:
http://meyda.education.gov.il/files/Tarbut/PirsumeAgaf/KitveEt/272pdf.pdf

٣ المصدر: https://benyehuda.org/read/5579.

٤ المصدر نفسه.

٥ المصدر: https://benyehuda.org/read/1192.

٦ إسحق كونفرونطي (٢٠٠٩). اليهودي الجديد في الفكرة الصهيونية: القومية، الأيديولوجية والتأريخ. (بالعبرية).

٧ المصدر نفسه.